

رواج أغاني المهرجانات انعكاس لحال الشباب المصري

كلمات كئيبة بلحن راقص تناقض يكشف صراعات نفسية لدى الجيل الجديد

يبدو الشباب في مصر متوحّدين مع أغاني التعاسة والغدر والخيانة والحظ السيء والحياة الحزينة، ولا يندمجون مع نظيرتها التي تروّج للسعادة والرضا والأمل. فقد أصبحت أغاني ما يعرف بالمهرجانات وسيلة الأجيال الجديدة للتعبير عن الاحتجاج على الأوضاع التي تعيشها، اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

أحمد حافظ
كاتب مصري



تتبع طبيعة الأغاني المفضلة لنسبة كبيرة من الشباب المصري اليوم حجم المعاناة التي تعيشها هذه الشريحة. فقد نرى البعض يتراقص ويتمايل على موسيقى صاخبة في الأعراس والحفلات، لكن مجرد التدقيق في الكلمات نجدنا نتحدث عن التعاسة والغدر والخيانة وتبعث على الكآبة والياس والإحباط.

ولم يعد الاستماع إلى الأغاني الحزينة مقتصرًا على فئة شبابية بعينها، تعيش في المناطق الشعبية أو حتى تسكن الأحياء الراقية والمدن العمرانية الجديدة، وتمتلك سيارات فاخرة، لكنها صارت حاضرة عند شريحة واسعة من الأجيال الصاعدة، وكان الكلمات الكئيبة مع الموسيقى الصاخبة تمثل بالنسبة إليها راحة نفسية لا توفرها الأغاني التي تعكس السعادة والرضا وتحث على البهجة.

وصار من النادر أن تجد صاحب مقهى يقوم بتشغيل أغنية رومانسية أو تتألف من كلمات تدعو إلى الأمل، ومهما جلست من وقت لن تسمع سوى الأغاني الحزينة. واللافت أن أغلب الجالسين من الشباب يندمجون معها ويتمايلون مع كلماتها ويشعرون بأنها استطاعت أن تمسّ ما بداخلهم من الأم وحزن ومعاناة وغضب مكبوت.

الحكومة تتعامل مع المهرجانات الكئيبة باعتبارها انعكاسًا للتطور الذي طرأ على الأغاني المعاصرة ليس أكثر

فقد نجد شبابًا يتمايلون ويضحكون في فرح شعبي، لكن مكبرات الصوت في المكان لا تترد سوى الكلمات الحزينة التي تتحدث عن خيبة الأمل والخيانة والغدر والفشل في تحقيق الأحلام. "الناس تعبانة قرفانة من العيشة طهقانة نعمل إيه ولا إيه دا الخسيس أصبح فيها بيه". هذا مقطع بسيط من أغنية شعبية تحمل اسم "مفيش صاحب بيتصاحب"، حققت أرقامًا قياسيًا في مدلات مشاهداتها، وصارت حاضرة في أغلب المناسبات السعيدة وسائل النقل الشعبية، والمقاهي المنتشرة في أحياء مختلفة.

وتعبّر كلمات الأغنية عن جزء من الحالة الاجتماعية التي يعيشها الشباب على وجه الخصوص، حيث يمرّون بظروف بالغة الصعوبة، وبينهم من لديه قدرات ومهارات وخبرات، لكن البعض ممن يتصورون المشهد لا يستحقون المكانة التي يحتلونها، وهذا موجود في أغلب المواقع والوظائف، ما يدفع الفئات الشبابية للتعاظم مع مثل هذه الكلمات على أنها تشبههم. وتجذب أغنية أخرى مسامع الشباب وتعبّر عن أحوالهم، وتقول كلماتها "دنيا موائى على الملا.. قلوبنا فيها بتتحرق.. غلبان وعيش في الغلا (الغلام).. مسكين وعشه بينزلق ومن يحس بالتاني أحلام شبابنا بتتسرق.. دنيا موائى وناس بتعاني باين في وشوشهم القلق".

يقود التفسير النفسي لأغنية تتحدث عن سرقة أحلام الشباب إلى أن الأجيال التي يفترض أن تتفتح أمامها الحياة بالسعادة والبهجة تشعّر



كلمات أغاني المهرجانات مستمدة من الواقع



الرقص لا يعني السعادة

الأهل والأصدقاء، يعني أن منسوب الثقة في الدوائر المقربة منهم صارت على المحك، مما يقود إلى اهتزاز العلاقات الاجتماعية في نظر الأجيال الصاعدة ويعرض بعضهم للوقوع في مشكلات وأزمات حياتية لا يستطيعون الخروج منها.



سهيير لطفى:

الأغلبية من الشباب ترغب في تحقيق الحلم دون عناء، لذلك يظهر الاحتجاج الصامت



محمد صالح:

تحول الأغاني الكئيبة إلى علاج نفسي عند الشباب مؤشر خطير يظهر الاحتجاج الصامت

ويرى أن الحل أن تشعّر دوائر صناعة القرار السياسي والاجتماعي، بوجود خلل في العلاقة مع الشباب، والعلاج يبدأ بإقناعهم بأن رسائل التماهي مع أغاني الطاقات السلبية صارت محل اهتمام من الدولة، ويتبع ذلك التحرك نحو تحقيق العدالة وأولوياتها في تحسين الأجور وتوفير فرص عمل كريمة للأجيال الصاعدة، وتمكينهم في المؤسسات، وتنفيذ القانون على الجميع دون استثناء ووضع معايير حاكمية في كل المجالات، وأن تكون المواطنة هي الفيصل، مع إقناعهم بأن طموحاتهم مشروعة، لأن عكس ذلك، يمهّد لخروج أجيال مغتربة عن بيئتها الاجتماعية.

سابقًا، أن مشكلة الشباب عموماً أن طموحاتهم لا حدود لها، وصارت هناك فوارق اجتماعية تفسّر لدى البعض منهم صراعات نفسية للوصول إلى مكانة بعينها دون الوضع في الاعتبار إمكانية التعرض لصعوبات وتعقيدات لا بد منها، لكن الأغلبية منهم ترغب في تحقيق الحلم دون عناء، لذلك يظهر الاحتجاج الصامت.

عقافير مهندّة

توضح لطفى لـ"العرب" أن الهروب من الأزمات الحياتية للتوحد مع الأغاني الكئيبة قد يتسبب في المزيد من الإحباط والاستسلام. واللافت أن أغلب الكلمات الحزينة المصنوعة بموسيقى صاخبة لم تعد تحثّ على الجهد والتعب والإصرار، بقدر ما تشفي ليليل مستعصية من الشباب وتخاطب أحزانهم، وهنا يأتي دور الدوائر الاجتماعية والإعلامية التي تحيي الأمل في النفوس الضعيفة.

ونذهب بعض الدراسات النفسية إلى أن التخفيف عن الروح بسماع الأغاني الحزينة غالباً ما يدخل فئات بعينها في حلقة مفرغة من الكآبة طويلة المدى خاصة إذا كانوا مراهقين، ومع الوقت يصبحون عاجزين عن تقبّل مشاهد سعيدة، لأنهم يصعدون الغضب تجاه أنفسهم مهما كانوا ضحايا لمواقف وتصرفات أطراف أخرى.

ويعتقد متخصصون أن الخطر يكمن في تحول موسيقى الغدر والإحباط لتكون بمثابة السند الذي يلجأ إليه الشباب والتخفي وراءه، لأن التعامل مع الأغنية الحزينة كجهة تتضامن مع الناقمين على أوضاعهم الصعبة، فإن ذلك يوسع الهوية بين الفئات الشبابية عموماً، فقراء وأغنياء، وبين الأهل والمجتمع والدولة.

والخطر الأكبر في تعاظم هذه الدوائر مع انجذاب الشباب لحالة اليأس والاستسلام التي تبعث بها المهرجانات الكئيبة، باعتبارها تنقيساً عن الصبر وقوة التحمل والسلامية في مواجهة التحديات والصعاب والإحباطات، لأن التعامل مع استسلام المراهقين على أنه "شيك على بياض" قد يكون مقدمة لانفجار بركان غضب يصعب السيطرة عليه.

وأكد محمد صالح المتخصص في علم النفس الاجتماعي أن لجوء الكثير من الشباب إلى الفضيضة مع الموسيقى الحزينة وعدم اللجوء إلى

المحيطة بحياته يرتاح نفسياً، كأنه تناول حفنة من العقاقير المهدئة، وكثيراً ما يسرح مع الكلمات ليكون محل البطل الذي تتحدث عنه الأغنية، أي يتوحد معها.

ووقت إحساسه بالرضا النسبي أحياناً يردد بعض الأغاني البعيدة عن السعادة والبهجة، لأنه يعتبرها خيالية، في حين أن الكئيبة منها تشعّره بالمزيد من الراحة والدفء والمتعة، لدرجة أنه صار يتعامل مع الكلمات الحزينة باعتبارها الصديق المقرب إليه، لأن الدائرة المقربة منه لم تأخذ بيده، أو تحاول أن تصغي إليه.

ولا ينكر الشباب في حديثه مع "العرب"، أن شعوره بالراحة مع سماع وترديد أغاني اليأس والإحباط أدخله ذات يوم في دوامة الاكتئاب والانعزال بنفسه للكآبة أكثر من مرة، لأن بعض الكلمات كانت تعبّر عنه كأن كاتبها رفيق حياته، وتأثر بها وصار مستسلماً لها، ولا يرغب في فعل أي جديد لإدراكه أن كل الطرق أمامه موصدة.

وأكدت سهيير لطفى رئيسة المركز القومي للبحوث الاجتماعية بمصر

مشكلة الحكومة أنها تتعامل مع المهرجانات الكئيبة باعتبارها انعكاساً للتطور الذي طرأ على الأغاني المعاصرة ليس أكثر أو أنها تمثل تحولاً في أنواق المراهقين من دون التعاظم مع الرسائل التي يرغب الشباب في توصيلها من وراء كلماتهم القاسية، كالاحتجاج والغضب والإحباط، وكلها إشارات صارت علامة بارزة عند الشباب.

ورأى محمد صالح المتخصص في علم النفس الاجتماعي، أن تحول الأغاني الكئيبة إلى علاج نفسي عند الشباب مؤشر خطير، خاصة في مجتمع معروف عنه الهروب من الأزمات ومواجهة التحديات والصعاب بالنكبات والضحكات، ما يعني أن منسوب الغضب عند بعض الفئات وصل إلى مرحلة متقدمة تحتاج إلى دراسات اجتماعية وسياسية ونفسية تحليل الظاهرة برمتها.

ولفت في تصريح لـ"العرب" إلى أن انجذاب الشباب نحو الأغاني الحزينة يكاد يكون نقطة فاصلة بين الفوضى السلوكية والقيمية إلى الانضباط السلوكي والقيمي، فالموسيقى مرآة للمجتمع وتحولاته وثقافته وطموحاته، وعندما تكون الكئيبة منها أكثر حضوراً وجذباً، فهناك جرس إنذار يجب الاستماع إليه قبل أن تندثر الضحكة التي كانت جزءاً من ثقافة المجتمع المصري.

بالقسوة الاجتماعية وتبعث المعاناة منذ سنوات، رغم أنها ما زالت في مقتبل العمر، رغم أن الكلمات نفسها لم تتطرق إلى شريحة شبابية بعينها، بل كانت شاملة لكل الفئات.

يتعامل الشباب مع سرقة أحلامهم بمنطق لا يخزّل الطموحات في الزواج والمال فقط بل في المعاناة بشموليتها، حتى صارت وجوههم عابسة وأذانهم تستهويها الكلمات الحزينة، مع أنهم صانع القرار في المستقبل، لكن إحباطاتهم أصبحت تسبق تفؤلهم بإمكانية العيش حياة طبيعية يحققون فيها أحلامهم.

ورأى محمد صالح المتخصص في علم النفس الاجتماعي، أن تحول الأغاني الكئيبة إلى علاج نفسي عند الشباب مؤشر خطير، خاصة في مجتمع معروف عنه الهروب من الأزمات ومواجهة التحديات والصعاب بالنكبات والضحكات، ما يعني أن منسوب الغضب عند بعض الفئات وصل إلى مرحلة متقدمة تحتاج إلى دراسات اجتماعية وسياسية ونفسية تحليل الظاهرة برمتها.

ولفت في تصريح لـ"العرب" إلى أن انجذاب الشباب نحو الأغاني الحزينة يكاد يكون نقطة فاصلة بين الفوضى السلوكية والقيمية إلى الانضباط السلوكي والقيمي، فالموسيقى مرآة للمجتمع وتحولاته وثقافته وطموحاته، وعندما تكون الكئيبة منها أكثر حضوراً وجذباً، فهناك جرس إنذار يجب الاستماع إليه قبل أن تندثر الضحكة التي كانت جزءاً من ثقافة المجتمع المصري.

قال محمود سيد أحمد، وهو شاب مصري يقيم في إحدى قرى محافظة البحيرة شمال القاهرة، إنه عندما يستمع إلى الأغنية الحزينة وقت شعوره بالضيق والإحباط من الظروف

